

تفسير البغوي

246 - قوله تعالى : { ألم تر إلى الملا منبني إسرائيل } والملأ من القوم : وجوههم وأشرافهم وأصل الملأ الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه كالقوم والرهط وافبل والخيل والجن وجتمعه أملاء { من بعد موسى } أي من بعد موت موسى { إذ قالوا لنبي لهم } واختلفوا في ذلك النبي فقال قتادة هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام وقال السدي : اسمه شمعون وإنما سمي شمعون لأن أمة دعت إله أن يرزقها غلاما فاستجاب إله دعاءها فولدت غلاما فسمته شمعون تقول سمع إله تعالى دعائى والسين تصير شيئا بالعبرانية وهو شمعون بن صفية بن علقة من ولد لاوي بن يعقوب وقال سائر المفسرين : هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل بن يال بن علقة وقال مقاتل : هو من نسل هارون وقال مجاهد : هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل بن يال بن علقة .

وقال وهب و ابن إسحاق و الكلبي وغيرهم : كان سبب مسألتهم إياه ذلك لما مات موسى عليه السلام خلف بعده فيبني إسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم التوراة وأمر إله تعالى حتى قبضه إله تعالى ثم خلف فيهم كالب كذلك حتى قبضه إله تعالى ثم خلف حزقيل حتى قبضه إله ثم عظمت الأحداث فيبني إسرائيل ونسوا عهد إله حتى عبدوا الأواثان فيبعث إله إليهم إلياس نبيا فدعاهم إلى إله تعالى وكانت الأنبياء منبني إسرائيل من بعد موسى يبعثون إليهم بتتجديد ما نسوا من التوراة ثم خلف من بعد إلياس اليسوع فكان فيهم ما شاء إله ثم قبضه إله وخلف فيهم الخروف وعظمت الخطايا فظهر لهم عدو يقال له البلشا ثا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العملاقة ظهروا علىبني إسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسرموا من أبناء ملوكهم أربعين وأربعيناثة غلاما فضرموا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقي بنو إسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهمنبي يدير أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبةبني إسرائيل في ولدتها وجعلت المرأة تدعو إله أن يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمuel يقول : سمع إله تعالى دعائى فكبر الغلام فأسلمته ليتعلم التوراة في بيت المقدس فكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أتاه جبريل وهو نائم إلى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمuel فقام الغلام فرعا إلى الشيخ فقال : له يا أبا تاه دعوتنى ؟ فكره الشيخ أن يقول لا فيفرغ الغلام فقال يابني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام يا أبا تاه دعوتنى ؟ فقال ارجع فنم فإن دعوتك الثالثة فلا تجبنى (فرجع الغلام فنام) فلما كانت الثالثة ظهر

له جبريل فقال له : اذهب إلى قومك فبلغهم رساله ربك فإن ا قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوا وقالوا : استعجلت بالنبوة ولم تتكل و قالوا له : إن كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل ا آية من نبوتك وإنما كان قوام أمر بنى إسرائيل بالمجتمع على الملوك وطاعة الملوك لأنبيائهم فكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي يقيم له أمره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب بن منبه : ببعث ا تعالى باسمويل نبيا فلبيتوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاسمويل : { أبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل ا } جزم على جواب الأمر فلما قالوا ذلك { قال هل عسيتم } استفهام شك .

قرأ نافع : عسيتم بكسر السين كل القرآن وقرأ الباقون بالفتح وهي اللغة الفصيحة بدليل قوله تعالى : { عسى ربكم } { إن كتب } فرض { عليكم القتال } مع ذلك الملك { أن لا تقاتلوا } أن لا تتفوا بما تقولوا معه { قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل ا } فإن قيل فيما وجه دخول أن في هذا الموضوع والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل وإنما يقال مالك لا تفعل قيل : دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان فالإثبات كقوله تعالى : { ما لك أن لا تكون مع الساجدين } (32 - الحجر) والحذف كقوله تعالى : { ما لكم لا تؤمنون با ا } (8 - الحديد) وقال الكسائي : معناه وما لنا في أن لا نقاتل فحذف (في) وقال الفراء : أي وما يمنعنا أن لا نقاتل في سبيل ا كقوله تعالى : { ما منعك أن لا تسجد } (12 - الأعراف) وقال الأخفش : (أن) هاهنا زائدة معناه : وما لنا لا نقاتل في سبيل ا { وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا } أي أخرج من غالب عليهم من ديارهم ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوم لأن الذين قالوا لنبيهم : أبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل ا كانوا في ديارهم وأوطا لهم وإنما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية أنهم قالوا مجيبين لنبيهم : إنما كنا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فأما إذا بلغ ذلك منا فنطير ربنا في الجهاد ونمنع نساءنا وأولادنا .

قال ا تعالى : { فلما كتب عليهم القتال تولوا } أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر ا { إلا قليلا منهم } وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصرت على الغرفة على ما سياطي إن شاء ا تعالى { و ا عليم بالظالمين }